المضامين الشرعية والحقوقية وفئاتها الإنسانية في سورة النساء

[دراسة موضوعية]

د. بشير حميد عبد الدليمي
جامعة الانبار- كلية العلوم الاسلامية -

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

خلاصة البحث

هدف البحث الى تسليط الضوء على المضامين الشرعية والحقوقية وفئاتها الانسانية في سورة النساء، واستجلاء الدلالات والمعاني الكامنة ورائها، والتي تكشف عن عظمة الإسلام وشموليته الانسانية؛ إذ تعد سورة النساء بمثابة أول ميثاق حقوقي وانساني في تاريخ البشرية جمعاء؛ وذلك باتباع منهج التحليل الموضوعي، وقد تبين من خلال البحث أن تصنيف الفئات الإنسانية في سورة النساء يشفُّ عن دلالات بالغة العمق والشمول، لاسيما من حيث التدرج الذي أقامته آياتها في ترتيبها على سبيل الأولوية على أساس القرابة وصلة الرحم، وصولاً الى القرابة المكانية والجغرافية، وانتهاءً بالقرابة الإيمانية؛ وأن المضامين الشرعية في سورة النساء تمثل أساساً لتمكين الأفراد جميعاً من حقوقهم الطبيعية والإنسانية التي كفلها الله عز وجل لهم على حد سواء، كأساس للالتزام بواجباتهم تجاه ذواتهم وتجاه الآخرين، وتمثل أساساً لمحاربة كل أشكال وصور التوحش والقسوة والأنانية والجشع والظلم والحرمان، الأمر الذي يتكشف من خلال سورة النساء التي ارتبطت فيها المضامين الشرعية والمضامين الحقوقية بشكل جذري، وعبرت من خلال ارتباطها الوثيق عن مقاصد الإسلام وغاياته.

الكلمات المفتاحية: سورة النساء، المضامين الشرعية والحقوقية، الفئات الإنسانية.

Abstract

The study aims at shedding light on the legal and human rights and their human categories in Sura Al-Nisaa and clarifying the meanings and meanings behind them, which reveal the greatness of Islam and its human universality. Al-Nisaa is the first human and human charter in the history of mankind. The classification of the human categories in Surat al-Nisa'a is based on a hierarchy based on kinship, the link of the womb, to the spatial and geographical kinship, and to the kinship of faith; And their natural and human stature, which God has guaranteed to them alike, as the basis for the fulfillment of their duties towards themselves and others, and serves as a basis for combating all forms and images of brutality, cruelty, selfishness, greed, injustice and deprivation.

Keywords: Surah Al-Nisaa, Legal and Human Rights, Human Groups.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، القائل في محكم كتابه العزيز: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾[1]؛ والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، محمد بن عبد الله الصادق الأمين.

وبعد؛

فإن المسألة الحقوقية في عالم اليوم تحتل مكانة بالغة الأهمية؛ فقد نُظمت لها المحافل والمؤتمرات والندوات، وأصدرت لأجلها وفيها المواثيق والإعلانات الدولية، التي عنت بكافة النواحي الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية، دون أن يقتصر الأمر في ذلك على حقوق الفرد بحد ذاته، بل وشمل أيضاً حقوق الفئات والشرائح المجتمعية، كالأسرة، والعمال، والأقليات، وغير ذلك مما بات يندرج في إطار ما يُعرف اليوم بـ«حقوق الإنسان».

بيد أن هذا التوجه بأسره ليس وليد اليوم، ولا يمكن عدَّه بأي حال من الأحوال بأنه نتاج الحضارة الغربية بمفردها، بل هو توجه قديم له جذوره التاريخية وأبعاده المتعددة والمتنوعة التي ساهمت في انتاجها وبلورتها مختلف الثقافات والحضارات الإنسانية على مر العصور، والدين الإسلامي على وجه الخصوص؛ ذلك أن كثيراً من الحقوق التي أقرتها المواثيق والعهود الدولية هي بالأساس مما نصت عليه آيات القرآن الكريم منذ أكثر من ألف واربعمائة سنة، الأمر الذي يتجلى بوضوح شديد في واحدة من أعظم

(١) سورة النساء، الآية (١).

سوره، وهي سورة النساء.

تنفرد سورة النساء عن غيرها من سائر سور القرآن الكريم بمضامينها الشرعية ذات الطابع الحقوقي والتنظيمي؛ إذ عنت بحقوق فئات إنسانية عدة تدخل في نطاق من وصفهم القرآن الكريم بـ (المستضعفين)، باعتبارهم الحلقات الأضعف والأكثر ضعفاً في كل مجتمع، سواء على المستوى الفردي أو المستوى الجمعي، على نحو يكشف من جانب ما عن الحكمة من تسميتها بـ «سورة النساء»؛ فالنساء غالباً ما يكُنَّ الفئة الأضعف في المجتمع، والأكثر تعرضاً للظلم والحرمان.

وعليه؛ فإن البحث الحالي يهدف الى دراسة المضامين الشرعية والحقوقية وفئاتها الانسانية في هذه السورة الجليلة، واستجلاء الدلالات والمعاني الكامنة ورائها، والتي تكشف عن عظمة الإسلام وشموليته الانسانية؛ إذ تعد سورة النساء بمثابة أول ميثاق حقوقي وانساني في تاريخ البشرية جمعاء.

تأتي أهمية البحث من أهمية المضمون القرآني الذي حفلت به سورة النساء، باعتبارها رابع أطول سورة من سور الكريم، واحتفاءها بحقوق العديد من الفئات الإنسانية، انطلاقاً من التأكيد على كرامة الانسان وآدميته، وعلى حقوق الضعفاء في مختلف أحوالهم وأوضاعهم بالنسبة للآخرين في البيئة المجتمعية، شاملاً في ذلك حقوق النساء، والمساكين وذوو القربى، والأيتام وأبناء السبيل، والعبيد، والأقليات، وهي الفئات التي جاء ذكرها على تماس مباشر وعميق مع المضامين الجليلة التي احتفت بها هذه السورة، متصلة بنواحي متعددة من العلاقات والمعاملات الاجتماعية، والتي تؤكد على أهمية وضرورة إصلاح المجتمع، وإقامة العدل، ومحاربة كافة أشكال الظلم.

كما تنبع أهمية البحث من حيث لم تتطرق الى موضوعه أي دراسة أو بحث سابق، ومن حيث يتوقع أن يسهم في تحقيق الفائدة للأفراد والمؤسسات؛ فعلى الرغم من أن هناك العديد من الدراسات الموضوعية التي عنت بسورة النساء، إلا إنها اتجهت نحو

دراستها من نواحي وأبعاد موضوعية مختلفة تماماً عما يرمي إليه هذا البحث.

وقد اتبعت المنهج الموضوعي التحليلي، وذلك من خلال دراسة وتحليل مضمون سورة النساء، وبالتحديد الآيات المتعلقة فيها بالفئات الإنسانية المشمولة بأحكامها وتعاليمها، واستجلاء المعاني والدلالات الكامنة وراء المضامين الشرعية والحقوقية التي عبرت عنها، مستفيداً في ذلك من كتب التفسير، وبعض المراجع الحديثة، والبحوث والدراسات السابقة.

وقد اقتضى مسار البحث، أن يتألف من ثلاثة مطالب، بالإضافة الى خاتمة تشتمل على أهم النتائج والتوصيات، وذلك على النحو الآتي:

المطلب التمهيدي: التعريف بسورة النساء ومضمونها العام

الفرع الأول: التعريف بسورة النساء

الفرع الثاني: المضمون العام للسورة

المطلب الأول: الفئات الإنسانية في سورة النساء

الفرع الأول: تصنيف الفئات الإنسانية في سورة النساء

الفرع الثاني: دلالات تصنيف الفئات الإنسانية في سورة النساء

المطلب الثاني: المضامين الشرعية والحقوقية في سورة النساء

الفرع الأول: المضامين الشرعية

الفرع الثاني: المضامين الحقوقية

الخاتمة؛ وتشتمل على أبرز النتائج والتوصيات.

المطلب التمهيدي

التعريف بسورة النساء ومضمونها العام

اقتضت حكمة الله عز وجل أن يكون الأصل البشري واحداً، وأن تنتمي البشرية جمعاء إلى أسرة واحدة[1]؛ فقد بيَّن الله تعالى لنا ذلك في كتابه الحكيم، وبالتحديد في أول آية من سورة النساء، إذ قال سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾[2].

في هذا الشأن؛ تؤكد الدراسات الحديثة والمعاصرة في مجال (علم الإنسان) (Anthropology) على أن البشر جميعاً برغم اختلاف ألوانهم وألسنتهم وأعراقهم وأوطانهم وثقافاتهم، يكشفون عن طبيعة (فطرة) واحدة، تعبر عنها وتجسدها العديد من الخصائص والسمات الأصيلة والمشتركة بينهم على حد سواء، وأهمها نزوعهم الى الحياة الاجتماعية التي تستند الى العلاقات التبادلية والتكافلية، وأن سائر الاختلافات والتباينات التي تظهر بينهم لا تُلغي فطرة البشر الواحدة والمشتركة، بل إنها ناشئة عنها[3]؛ في حين يبين القرآن الكريم أن الاختلاف والتباين بين البشر آية من آيات الله

(١) ذوو القربى والأرحام في ضوء القرآن الكريم- دراسة موضوعية: مها محمد عرفة سكيك، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية- غزة، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠. ص ٨.

(٢) سورة النساء، الآية (١).

(٣) لماذا ينفرد الإنسان بالثقافة؟: الثقافات البشرية، نشأتها وتنوعها: مايكل كاريذرس، ترجمة: شوقي جلال، سلسلة كتاب عالم المعرفة، العدد (٢٢٩)، المجلس الأعلى الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يناير ١٩٩٨. ص ١٧.

سبحانه وتعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[1].

وعلى سبيل التمهيد؛ فإن دراسة المضامين الشرعية والحقوقية وفئاتها الإنسانية في سورة النساء، تقتضي التعريف بهذه السورة الكريمة، وبيان مضمونها العام؛ وذلك في فرعين على النحو التالي:

- **الفرع الأول: التعريف بسورة النساء:**

سورة النساء مدنية؛ قال الماوردي[2]: «هي مدنية إلا آية واحدة نزلت في مكة في عثمان بن طلحة حين أراد النبي ﷺ أن يأخذ منه مفاتيح الكعبة ويسلمها إلى العباس؛ فنزلت: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾[3]؛ وقد جاء في الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها، قالت: «ما نزلت سورة البقرة وسورة النساء إلا وأنا عنده»[4].

سميت سورة النساء بهذا الاسم لكثرة ما تردد فيها من أحكام النساء[5]؛ إلا إن من المفسرين من أشار الى هذه السورة باسم «سورة النساء الكبرى أو الطولى»، تمييزاً لها عن «سورة النساء الصغرى أو القصرى»، حيث يراد بهذه الأخيرة سورة «الطلاق»،

---

(١) سورة الروم، الآية (٢٤).

(٢) البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، بيروت، ١٣٧٦هـ- ١٩٥٧. ١/ ١٨٨.

(٣) سورة النساء: الآية (٥٨).

(٤) صحيح البخاري: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺوسننه وأيامه، تحقيق: محمد زهير الناصر، الطبعة الأولى، دار طواق النجاة، ٢٠٠٢. كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، حديث رقم (٤٩٩٣)، ٦ / ١٨٥.

(٥) البرهان في علوم القرآن، ١/ ٢٧٧.

مستأنسين بما روي عن ابن مسعود في صحيح البخاري، قوله: «أنزلت سورة النساء القصرى»[1]؛ فقيل أنه أراد بذلك سورة الطلاق، في حين أشار ابن عاشور الى أنه لم يُعرف لهذه السورة من اسم آخر[2]، يقصد أنه لم يجد غير تسميتها بـ «سورة النساء».

وقد اُختلف في عدد آياتها؛ قال السخاوي: «سورة النساء هي مائة وست وسبعون آية عند الكوفي، وتنقص آية للمدنيين والبصري والمكي، وتزيد آية للشامي، واختلافها آيتان ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴾[3] للكوفي والشامي؛ ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾[4] للشامي وحده»[5].

أما زمن نزول سورة النساء؛ فكان في أول عهد الهجرة مستمراً لسنوات؛ إذ امتد نزول آياتها من بعد غزوة أحد في السنة الثالثة للهجرة الى ما بعد السنة الثامنة للهجرة[6]؛ وترتيب نزولها بالنسبة لسور القرآن الكريم بعد سورة الممتحنة[7].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب «والذين يتوفون منكم»، حديث رقم (٤٥٣٢)، ٦/ ٣٠.

(٢) التحرير والتنوير- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد: محمد الطاهر بن محمد بن عاشور (ت: ١٣٩٣ه)، الدار التونسية، تونس، ١٩٨٤. ٤/ ٢١١.

(٣) سورة النساء: الآية (٤٤)

(٤) سورة النساء: الآية (١٧٣).

(٥) جمال القراء وكمال الإقراء: علم الدين علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري الشافعي السخاوي (ت: ٦٤٣هـ)، تحقيق: عبد الحق عبد الدايم سيف القاضي، الطبعة الأولى، مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤١٨ه - ١٩٩٧ ص ٢٠١.

(٦) ملامح التربية الأسرية في القرآن الكريم- سورة النساء نموذجاً: سهيلة قاسمي، رسالة ماجستير، جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي، الجزائر، ١٤٣٦ه- ٢٠١٥. ص ٢٢.

(٧) التحرير والتنوير، ٤/ ٢١٣.

- **الفرع الثاني: المضمون العام للسورة:**

شهد العهد المدني منذ بدايته نزول القرآن الكريم بآيات الأحكام والوصايا والتعاليم، «حيث ظلت هذه الوصايا تتوالى في السور المدنية شاملة مختلف التشريعات، بما فيها أحكام الميراث والوصاية والزواج، وغيرها مما ورد مجملاً في سورتي البقرة وآل عمران، ثم نزلت سورة النساء وشرحت كثيراً منه»[1]؛ بحيث صارت مرجعاً لفقه الاستضعاف في الشريعة الإسلامية، ودليلاً إلى الحقوق والواجبات في إطار دولة الإيمان، وحجة على من بلغته أحكامها، لا ينبغي له بعدها أن يستضعف غيره، أو يخضع للاستضعاف من غيره؛ لأن الله تعالى جعل بتشريعاتها له سبيلاً إلى حفظ أمنه وعرضه وأسرته ومجتمعه ومصالحه المشروعة في حالات الرخاء والضيق، والأمن والخوف، والمقام بين الأهل أو في مواطن الهجرة والاغتراب[2].

ويمكن إبراز الموضوعات التي تتناولها سورة النساء طبقاً لترتيب وتدرج آياتها على نحو ما يوضحه الجدول التالي:

أرقام الآيات		الموضوع
من	إلى	
١	١٠	حقوق اليتامى، وحقوق ذوي القربى، وأحكام النساء
١١	١٤	أحكام المواريث، ونسب توزيعها على الوارثين في مختلف الحالات
١٥	٢١	أحكام الحدود في النساء، وحقوقهن والنهي عن ظلمهن

(١) في ظلال القرآن: سيد قطب، الطبعة السابعة عشرة، دار الشروق، القاهرة، ١٤١٢هـ. ٨/ ٤٤.

(٢) تفسير سورة النساء: عبد الكريم مطيع الحمداوي، شبكة الألوكة الالكترونية، بدون بيانات النشر. ص ٥.

٢٢	٣١	المحرمات من النساء اللائي لا يجوز الزواج بهن؛ والنهي عن أكل أموال الناس بالباطل، والتحذير من قتل النفس
٣٢	٤٣	أحكام الأسرة والعلاقة بين الزوجين، ووصايا الإحسان الى الوالدين وذوي القربى واليتامى والمساكين والجار والصاحب وابن السبيل، مع بيان شروط الصلاة
٤٤	٥٧	الإخبار عن كفر اليهود وتكذيبهم للرسل، وعن طائفة من أهل الكتاب
٥٨	٧٠	أحكام الأمانات، العدل بين الناس، وصفات المنافقين
٧١	٨٧	الأمر بالجهاد ومقاتلة الكفار، والاستعداد لقتالهم، وذم المتخلفين
٨٨	٩٦	حض المؤمنين على عدم الاختلاف في شأن المنافقين، وأحكام القتل في حالتي الخطأ والعمد، وفضل المجاهدين على القاعدين بدون عذر
٩٧	١١٣	عقاب القاعدين عن الجهاد في بلاد الكفر، والحض على الهجرة الى دار الإيمان، وأحكام الصلاة في حالتي السفر والخوف، والتحذير من اتهام الناس بالباطل
١١٤	١٣٤	التحذير من مخالفة أمر الرسول، واتباع الشيطان، والنهي عن ظلم النساء، والحض على الإحسان إليهن، والإصلاح بين الزوجين
١٣٥	١٤٧	الحض على العدل بين الناس، وأداء الشهادات بالحق، والدعوة الى الإيمان
١٤٨	١٦٢	الأمر بالستر، والنهي عن الفضائح، والإخبار عن شرك اليهود وعبادتهم للعجل، وادعاء صلب المسيح، واتهامهم مريم بالفاحشة
١٦٣	١٧٦	الحض على الإيمان بالرسل جميعاً، وعد الغلو فيهم كما فعل النصارى، والتأكيد على حقوق الورثة وبيانها بشيء من التفصيل.

يخلص الباحث مما تقدم، الى أن سورة النساء تمثل خطاباً من الله عز وجل الى الناس كافة، يدعوهم الى العمل بتعاليمه والانتهاء بنواهيه، والى القيام بواجباتهم وحماية وصون حقوقهم فيما بينهم، ومحاربة كل صور وأشكال الظلم والطغيان، والنهي عن الاستقواء وأكل حقوق الناس بالباطل، وخصوصاً حقوق المستضعفين من مختلف الفئات والشرائح الاجتماعية، وذلك كله كأساس لبناء مجتمع قائم على الإخوة والعدل والمساواة، وقائم على التكافل والتعاون والتآزر بين الناس في كل مكان وزمان.

المطلب الأول

الفئات الإنسانية في سورة النساء

بحسب ما ترسخ لدى الباحثين في علم الاجتماع؛ فإن التحولات والتغيرات المستمرة التي تطرأ على نموذج العلاقات الاجتماعية والاقتصادية، والتعقيدات التي تصاحبها وتؤثر على بنية المجتمع، تنعكس عليه وتظهر من خلال نشوء فئات وطبقات متعددة»[1]؛ تعكس نموذج الصراعات والمشكلات التي يعاني منها كل مجتمع بحسب ظروفه وتحولاته، وانعكاساتها على نسق وبنية العلاقات بين الأفراد، ولكن في إطار الفئات والطبقات التي ينتمون إليها فيه.

والفئات لغة، جمع فئة، ويمكن تعريفها إجرائياً في هذا البحث بأنها «كل مجموعة انسانية يشترك أفرادها بصفة محددة أو بصفات معينة؛ أما تعبير الانسانية فهو صفة للفئة

(١) طبيعة تحولات الطبقة الوسطى في المجتمع الجزائري خلال الفترة الزمنية (٢٠٠٠-٢٠١٠) دراسة ميدانية لمدينة باتنة نموذجاً: قارح سماح، رسالة دكتوراه، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، ٢٠١١. ص ٣.

تحدد ماهيتها، انطلاقاً من شمولية الخطاب الى الناس جميعاً في مستهل سورة النساء، ما جعل الباحث يرى مناسبة توصيفها بصفتها الانسانية، بدلاً من استخدام توصيفات أخرى، كالفئة الاجتماعية، أو الفئة المستضعفة، أو الفئة المضطهدة أو ما شابه ذلك.

وبالعودة الى زمن نزول سورة النساء؛ فقد كان من أبرز النتائج المترتبة عن هجرة النبي ﷺ من مكة المكرمة الى المدينة المنورة واستقراره فيها، أن دعوته قد اتجهت بشكل رئيسي نحو إحداث تحول شامل في منظومة العلاقات الاجتماعية التي كانت سائدة في الجاهلية وإزالة رواسبها ومخلفاتها الجائرة والظالمة؛ «إذ عمل الوحي الكريم على تطهير المجتمع العربي من تلك الرواسب من جهة، وبناء مجتمع اسلامي وفق منهج عقدي واجتماعي وسياسي واقتصادي وثقافي يحفظ كرامة الانسان، ويقيم العدل ويعصم من ذل الظلم والاستضعاف»[1]، الأمر الذي عبرت عنه مضامين هذه السورة بشكل واضح ودقيق، يكشف عن مدى عظمة الرسالة الاسلامية، وسمو أهدافها ومقاصدها، وشمولية تعاليمها، وعدالة شريعتها وصلاحيتها لكافة أبعاد الحياة الانسانية.

لقد عنت سورة النساء بالفئات الانسانية التي كانت مضطهدة ومسحوقة في ظل قيم ونظم مجتمع الجاهلية؛ إذ وجهت تعاليمها ووصاياها وأحكامها نحو اصلاح ذلك المجتمع من خلال إعادة بنائه وتنظيم علاقاته انطلاقاً من العناية بتلك الفئات الضعيفة والمحرومة والمقهورة، وذلك انطلاقاً من رؤية الإسلام العقدية والاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية الشاملة والمتكاملة، ووفق تصنيف محكم ودقيق لفئات محددة لا يمكن أن يخلو منها أي مجتمع انساني في أي زمان ومكان؛ وهو ما يستدعي الوقوف على ذلك التصنيف والتعرف على دلالاته في سياق دراسة موضوعية لمضمون هذه السورة الجليلة، التي ابتدأت بخطاب موجه الى الناس جميعاً.

(١) تفسير سورة النساء: عبد الكريم مطيع الحمداوي، مرجع سابق، ص ٣.

- **الفرع الأول: تصنيف الفئات الإنسانية في سورة النساء:**

يتبين من خلال القراءة الموضوعية العامة لسورة النساء، أن تصنيفاً ما للفئات الإنسانية المذكورة فيها يرتكز بدرجة أساسية على تسمية كل فئة منها، وتمييزها بذلك عما عداها واعطاء كل منها الخصوصية التي تتناسب مع المضمون القرآني الذي عني بها في نسق هذه السورة، متصلاً ومتناسباً مع عموم ما ورد بشأنها في عموم سور القرآن الكريم، وذلك كله من جهة، ومن جهة أخرى اتخذت آيات هذه السورة تدرجاً موضوعياً محكماً في بيان التعاليم والتوجيهات الإلهية المتعلقة بكل فئة منها.

يستند تصنيف الفئات الانسانية في سورة النساء الى صفة محددة بعينها بالنسبة لكل فئة؛ ففيما عدا فئة النساء التي تعتبر الفئة الرئيسية الأهم والأبرز التي عنت بها السورة، فقد ورد تصنيف سائر الفئات الإنسانية الأخرى في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴾[1].

تضمنت الآية السابقة تسع فئات، مرتبة بحسب القرابة منها بالنسبة لحالة كل انسان؛ إذ بدأ تصنيفها بأقرب الناس وهما الوالدان، وانتهى بفئة العبيد (وما ملكت ايمانكم) ، كونها بالأساس فئة اجتماعية ناشئة عن نظام اقتصادي كان يُجيز الرق، ويسمح بتجارة الرقيق التي حاربها الإسلام بتدرج شامل وبطرق مباشرة وغير مباشرة.

يرى الباحث، أن هذه الفئات جميعاً تندرج في اطار فئة شاملة عبرت عنها الآية الأولى من السورة وهي فئة (الارحام) التي يسأل الإنسان عنها أمام الله سبحانه وتعالى؛ إذ يقع مناط التأكيد في الرقابة الإلهية التي نصت عليها الآية نفسها على معاملة الإنسان-

(١) سورة النساء: الآية (٣٦).

كل إنسان- لأرحامه، ولعل من عظمة الإسلام أن أدخل بعض الفئات الضعيفة من غير ذوي القربى والرحم ضمن هذه الفئة؛ فأوجب الإحسان إليهم ونهى عن ظلمهم وحرمانهم، ومعيار ذلك ما ينبغي أن تكون عليه معاملة المرء لذوي قرابته ورحمه، يعمله ويطبقه في معاملته لسائر الفئات الأخرى من الضعفاء والمساكين من غير ذوي القربى.

كما أن ثمة علاقة وطيدة بين فئتيّ (الارحام) و(النساء) من حيث تتداخلان وتتشابكان على نحو وثيق للغاية؛ فغالباً ما يراد بمفردة (الارحام) جُملة (النساء) اللاتي يدخلن في شبكة القرابات الأسرية والعائلية، وربما شمل ذلك ما يكون لهن من ولد؛ «فالأرحام اسم جمع مفرده رحِم؛ والرحِم هو القرابة تجمع بين بني أب، وبينهما رحم أي قرابة قريبة»[1]؛ وبصيغة أخرى، الرحم هو علاقة القرابة وأصلها وأسبابها؛ وقد سميت رحم الأنثى رحماً من هذا، لأن منها يكون ما يرحم ويرق له من ولد»[2].

شكلت رابطة القرابة في النسب، إحدى الفئات الإنسانية التي عنت بها سورة النساء في قوله تعالى: (وبذي القربى)[3]، أي ذوو القربى؛ «أما (ذوو)؛ فاسم جمع مفرده (ذو) وهي بمعنى صاحب، كقولك فلان ذو مال أي صاحب مال»[4]؛ وأما القربى والقرابة، فقد جاء في معاجم اللغة[5] بأنها: «الدنو في النسب، والقربى في الرحم، كما ذكر الله تعالى (والجار ذي القربى)[6]؛ من حيث يقال: بينهما قَرابة وقُرب وقُربى ومقربة بفتح الراء

(١) تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: عبد السلام هارون، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، بدون سنة النشر. ٥/ ١٥.

(٢) لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور (ت: ٧٧١ هـ)، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، بدون سنة النشر. ١٢/ ٢٧١.

(٣) سورة النساء: الآية (٣٦).

(٤) تهذيب اللغة، ١٥/ ٤١.

(٥) لسان العرب، ١/ ٧٨١.

(٦) سورة النساء: الآية (٣٦).

وضمها، وقُرُبة بسكون الراء وضمها، ويقال: هو قريبي، وذو قرابتي وذو قرابة مني، وذو قربى مني، وذو مقربة؛ قال الله تعالى: ﴿ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴾[1]، وأقرباؤك وأقاربك وأقربوك: عشيرتك الأدنون، قال تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[2]، وقد بين الله سبحانه وتعالى العلاقة الوطيدة بين القربى والرحم في قوله عز وجل: ﴿ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾[3].

ولأن أضعف حلقات ذوو القربى والأرحام هم اليتامى، فقد جاء ذكر هذه الفئة بعد ذوي القربى مباشرة؛ فاليتيم في اللغة من اليُتم، وهو الانفراد، واليتيم هو الفرد[4]، أما في الاصطلاح الشرعي، فاليتيم هو المنفرد عن الأب لأن نفقته عليه لا على الأم[5]؛ إذ ينفرد اليتيم بعد موت والده، ويتغافل الناس عن الإحسان إليه، ويبطئون عن بره؛ ولم يعتدّ العرب بفقد الأمّ في إطلاق وصف اليتيم إذ لا يعدم الصبي كافله، ولكنّه يعدم بفقد أبيه من يدافع عنه ويحمي ظهره وينفق عليه[6].

جاء في الحديث الشريف عن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺقال: «لا يُتْم بعد احتلام»[7]؛ لأن الفتى إذا بلغ الحلم أصبح رجلاً مكلفاً، والفتاة إذا وصلت هذه المرحلة أصبحت صالحة للزواج وصارت أماً لا يتيمة[8].

(١) سورة البلد: الآية (١٥).

(٢) سورة الشعراء: الآية (٢١٤).

(٣) سورة الكهف: الآية (٨١).

(٤) لسان العرب، ١٢/ ٦٤٥.

(٥) التعريفات: علي بن محمد الجرجاني (ت: ٨١٦ ه)، تحقيق: إبراهيم الأنباري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥ه- ١٩٨٥. ص ٣٣١.

(٦) تفسير سورة النساء: عبد الكريم مطيع الحمداوي، مرجع سابق، ص ٢٣.

(٧) أخرجه ابن حبان في الصحيح، كتاب الوصايا، باب متى ينقطع اليتم برقم (٢٨٧٣)، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٣١٨٠) وقال: إسناده جيد ورجاله ثقات.

(٨) الآثار الاجتماعية والنفسية لإغاثة الأيتام في القرآن الكريم: محمد بني دومي، مجلة المنارة، المجلد

الجدير بالذكر، أن القرآن الكريم قد أولى عناية كبيرة بفئة اليتامى، وذلك في اثنين وعشرين آية واثني عشرة سورة[1] ذُكِرت فيها كلمة (يتيم) بالإفراد ثماني مرات وبالتثنية مرة واحدة وبالجمع (يتامى) أربع عشرة مرة؛ وفي مجمل الآيات يتبين أن القرآن الكريم قد عنى باليتامى من ثلاثة جوانب رئيسية، أولها الإحسان الى اليتيم والوصية به، وتحدد الجانب الثاني ببيان الحقوق النفسية والاجتماعية لليتيم، أما الجانب الثالث فتمثل بالعناية بالحقوق المالية لليتيم.

تأتي فئة (المساكين) في تصنيف سورة النساء للفئات الإنسانية بعد اليتامى، ولا شك أن ثمة علاقة بين الفئتين يمكن تبيانها من خلال بيان مفهوم المساكين في القرآن الكريم؛ فالمساكين جمع مفرده مسكين، وهو الذليل الضعيف، والمسكنة هي الخضوع والذلة وقلة المال، والحال السيئة[2]، ولهذا غالباً ما يرد ذكر المساكين في القرآن الكريم مقترناً بذكر الفقراء؛ إذ يشترك الفقراء والمساكين بصفة واحدة تتمثل في الضعف وقلة المال.

ولا شك في أن المساكين واليتامى هم أضعف أعضاء الجسد الاجتماعي، وهم الذين يتلقون أولى وأقوى الضربات الاقتصادية والاجتماعية وأقساها، في أوقات المحل والجدب[3].

(٢١(، العدد (٤/ ب(، ٢٠١٥. ص ص ٩٧- ١٢٢. ص ١٠٣.

(١) وذلك في كل من: سورة البقرة، الآيات: (٨٣، ١٧٧، ٢١٥، ٢٣٠(؛ سورة النساء، الآيات: (٢ ٣، ٦، ٨، ١٠، ٣٦، ١٣٧(؛ سورة الأنعام، آية (١٥٣(، سورة الأنفال، الآية (٤١(، سورة الإسراء، الآية (١٧(، سورة الكهف، آية (٨٢(، سورة الحشر، الآية (٧(، سورة الإنسان، الآية (٨)، سورة الفجر، آية (١٧)، سورة البلد، الآية (١٥)، سورة الضحى، الآية (٦ ، ٩) وسورة الماعون، الآية (٢).

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس، أبو الفيض محمد بن محمد الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية للنشر والتوزيع، القاهرة، بدون سنة النشر. ٣٥/ ٢٠١.

(٣) حديث القرآن الكريم عن الإنفاق: عدنان خليفات، مجلة الميزان للدراسات الإسلامية والقانونية، المجلد (١(، العدد (١(، ربيع الأول ١٤٢٥ه- كانون الثاني ٢٠١٤. ص ص ١٦٥- ٢١٥. ص ١٩٤.

ثم أوصى الله سبحانه وتعالى بثلاث فئات أخرى هي﴿ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ ﴾ حيث تتدرج الآية في ترتيبها ابتداء من الجار ذي القربى، فهو جار له حق الإحسان إليه بالجوار، وهو أيضاً من ذوي القربى، فيكون الإحسان إليه أولى وآكد، ومن بعده (الجار الجنب) الذي لا تربطه بجاره أي قرابة، ولكن قربه بالجوار يقيمه في مقام من يوجب الإحسان إليه، وقيل الجار الجنب هو الرفيق في السفر، (والصاحب بالجنب) قيل هي المرأة، وقيل أيضاً هو الرفيق الصالح، أو هو جليس المرء في الحضر، ورفيقه في السفر[1].

أما (ابن السبيل) فهو عابر السبيل، والسبيل هو الطريق[2]، وهو المسافر المحتاج الذي يجتاز بلداً ليس معه شيء يستعين به على سفره، فيعطى من الصدقات ما يكفيه الى بلده[3].

يتبين مما تقدم، أن الآية (٣٦) من سورة النساء قد أوجزت بتكثيف بليغ ومبين تصنيف الفئات الإنسانية التي حض الله سبحانه وتعالى على الإحسان إليها، والبر بها، ونهى عن ظلمها وقهرها وأكل حقوقها بالباطل.

الفرع الثاني: دلالات تصنيف الفئات الإنسانية في سورة النساء

جاء الإسلام ليقود ثورة ضد الظلم الاجتماعي بكل أشكاله وصوره، وبكل تأثيراته الاقتصادية والاجتماعية، وانعكاساته الجسدية والنفسية؛ فمنذ اللحظة الأولى لنزول الوحي، سارع القرآن الكريم الى حماية الفتيات الصغيرات من الوأد، وإنقاذهن من القتل،

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ١٤١٩هـ. ٢/ ٢٦٢.

(٢) لسان العرب، ٤/ ٥٣٠.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٤/ ١٦٩.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ ﴾[1]؛ قبل أن يشرع الله عز وجل الصلاة والزكاة والصوم والحج وغيرها من التشريعات والعبادات عمد القرآن الكريم إلى إغاثة تلك الطفلة الصغيرة الضعيفة التي لا حول لها ولا قوة، لينقذها من بطش أهلها الجاهليين، فحرم وأدها ودفنها وهي حية، ثم حث القرآن الكريم على إنقاذ ضعفاء المجتمع من المساكين والأيتام والأرامل والمعوزين وإغاثتهم حتى لو كانوا من غير المسلمين[2]، قال الله تعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾[3].

من هذا المنطلق، تتضح دلالات تصنيف الفئات الإنسانية المشمولة بذكرها في سورة النساء من حيث أنها قد توجد في وضع اجتماعي مستبد وقاهر، يكون فيه الأفراد الداخلين ضمنها ضعفاء ومغلوبين على أمرهم، لمختلف الأسباب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية؛ وهو الوضع الذي كثفه القرآن الكريم باستخدام مفردة «المستضعفين»؛ «فعلى مرِّ التاريخ دار صراع طاحن ومرير بين المستضعفين والمستكبرين، ابتداءً من الزوج الطاغية والزوجة الضعيفة المستكينة، والزوجة المتسلطة والزوج المسالم الطيب، والأب المستهتر الجبار الأناني والبنت الضعيفة المستسلمة الموءودة، وصولاً إلى المرابين الجشعين الذين يستغلون حاجات الناس وضائقتهم فيأكلون أموالهم بالباطل، وانتقالاً الى القوي بعصبته وعصابته والذي يغتصب الحقوق ويجحد الأمانة ويقطع الطريق، ويغتصب الأعراض، وانتهاءً بالحاكم المتجبر الذي يستخف شعبه ويجعله بين قيد وسوط ومشنقة[4]؛ وقد ضرب الله تعالى على ذلك مثلاً: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ

(١) سورة التكوير: الآيتان (٨، ٩).

(٢) الآثار الاجتماعية والنفسية لإغاثة الأيتام في القرآن الكريم: محمد بني دومي، مرجع سابق، ص ٩٨.

(٣) سورة الإنسان: الآية (٨).

(٤) تفسير سورة النساء: عبد الكريم مطيع الحمداوي، مرجع سابق، ص ٢٣.

وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ ﴾[1].

«المستضعفون هم أولئك الذين يستضعفهم الناس ويتجبرون عليهم لفقرهم، ورثاثة حالهم، حتى قيل هم الذين يُبرئون أنفسهم من الحول والقوة[2]؛ وذلك تصديقاً لقوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ ﴾[3].

يرى الباحث أن الاستضعاف هو سلوك مواز ومرادف للاستقواء، وليس نقيضاً له كما قد يتصور البعض، وهو توصيف لعلاقة غير عادلة وغير منصفة، تتجه نحو ممارسة القوى لأفعال قوته ضد الضعيف، استضعافاً له وتجبراً عليه، أي أنه سلوك صادر من القوي لا من الضعيف، وفي هذه الحالة يكون الضعيف مُستَضعفاً.

ويستنتج الباحث أن ثمة دلالة عميقة تكشف عن عظمة الرسالة الإسلامية، تظهر بجلاء في معظم الآيات القرآنية التي عنت بذكر المستضعفين، من حيث يقترن ذكرهم فيها بالإحسان، وهو أعلى مراتب الإيمان بالله عز وجل؛ فقد اقترنت تعاليم سورة النساء وأحكامها المتصلة بتلك الفئات الضعيفة والمسحوقة بآيات العقيدة، وهو ما يؤكد على أن جميع أفعال الإحسان والبر تجاهها تعد من صلب عقيدة الإيمان بالله، ومن أسمى أشكال عبادته والتقرب إليه.

كما يشفُّ تصنيف الفئات الإنسانية في سورة النساء عن دلالات أخرى بالغة العمق والشمول، لاسيما من حيث التدرج الذي أقامته آياتها في ترتيبها على سبيل الأولوية على

(١) سورة القصص: الآيتان (٤، ٥).
(٢) لسان العرب، ٩/ ٢٠٤.
(٣) سورة التوبة : الاية (٩١).

أساس القرابة وصلة الرحم، وصولاً الى القرابة المكانية والجغرافية، وانتهاءً بالقرابة الإيمانية؛ «فقد اكتسبت العلاقة بين ذوي القربى والأرحام قدسيتها بما حباها الله عز وجل من تعظيم وتكريم، فقد نالت الرحم منزلة رفيعة منذ الأزل، فقد أشتق اسم الرحم من اسم الله (الرحمن)، وهو ما أضفى عليها طابعاً من القداسة والمهابة»[1]؛ ناهيك وأن الرحم متصل أساساً بالمرأة مفردة، وبالنساء على سبيل العموم، وهذا ما يكشف عن عمق الدلالة الكامنة وراء تسمية السورة بـ «سورة النساء».

أما القرابة المكانية والجغرافية، فتتبين من خلال عناية السورة بالجار؛ «فرابطة الجوار لها دورها العظيم في بناء الحياة الاجتماعية بناءً سليمًا؛ لأنها تعد بالمرتبة الثانية في النسيج الاجتماعي بعد رابطة الأسرة»[2].

وكذلك القرابة الإيمانية التي تتبين من خلال عناية السورة بعابريّ السبيل والعبيد، ولعل هذه الأخيرة كانت تمثل على مدى عصور طويلة أكثر الفئات تعرضاً للاضطهاد والقهر والإذلال؛ فالقرابة الإيمانية قائمة هنا على الأخوة التي تجمع بين المؤمنين باعتبارها من أقوى الروابط وأوثقها، لأنها انبثقت من العقيدة الراسخة، لذا فهي لا تتأثر بما قد يطرأ على العلاقات الدنيوية من وهن وضعف، لأنها أخوة قوية أساسها الإيمان بالله»[3].

يؤكد الباحث على أن دلالات تصنيف الفئات الإنسانية في سورة النساء كثيرة وتستحق الوقوف عليها في سياق أوسع وأعم من هذا البحث، نظراً لكونها تحتمل الكثير

(١) ذوو القربى والأرحام في ضوء القرآن الكريم- دراسة موضوعية: مها محمد عرفة سكيك، مرجع سابق، ٣٤.

(٢) الحقوق الاجتماعية في الإسلام: مركز الرسالة، سلسلة المعارف الإسلامية، العدد (٤(، بدون بيانات الناشر ومكان وتاريخ النشر. ص ٣٧.

(٣) ذوو القربى والأرحام في ضوء القرآن الكريم، مرجع سابق، ٣٤.

من القيم والمعاني والمقاصد والغايات التي حملها الخطاب الإلهي فيها، إذا ما نظر إليها من مختلف الأبعاد الإيمانية، والفكرية، والأخلاقية، والنفسية والجسدية، والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، وهذا بحد ذاته ما يمكن التوصية به لعموم الباحثين.

المطلب الثاني

المضامين الشرعية والحقوقية في سورة النساء

لا شك في أن عناية القرآن الكريم بالفئات الإنسانية الضعيفة والمكسورة في المجتمع، هي عناية متجهة بالأساس نحو تحقيق مقاصد وغايات انسانية شاملة، تتحقق من خلالها قيم العدالة والمساواة والتكريم، وغيرها من الأهداف السامية التي ترتقي بالمجتمع، وترسخ قيم التكافل والتآزر والتعاون بين أفراده.

بيد أن ثمة حاجة الى بيان المضامين الشرعية والحقوقية التي حفلت بها سورة النساء من حيث ارتباطها بفئات إنسانية معينة، والتعرف على طبيعة تلك المضامين والعلاقة التي أقامها خطاب هذه السورة الجليلة بينها وتلك الفئات، في إطار تطبيق منهجية التحليل الموضوعي في قراءة وتفسير القرآن الكريم، وهذا بالتحديد ما يعنى به الباحث في هذا المطلب.

تكمن علة التمييز بين المضامين الشرعية والمضامين الحقوقية في هذا البحث، في أن المضامين الشرعية تتصل بتلك الأحكام التي تقررت شرعاً بموجب النص، وتعنى بحالات وأوضاع اجتماعية محددة؛ في حين يشير تعبير المضامين الحقوقية الى تلك الحقوق التي يتساوى عندها الناس جميعاً في كل الأحوال، مع التأكيد على أن التحليل الموضوعي لتلك المضامين سيتحاشى تماماً الخوض في أي تفاصيل أو مسائل فقهية.

● **الفرع الأول: المضامين الشرعية:**

عالجت مضامين سورة النساء قضايا ذات صلة شديدة بمكونات الواقع الاجتماعي، حيث عنى الثلث الأول منها بالأسرة وقضاياها، فيما عنى الثلثان الباقيان مسائل اجتماعية متعلقة بفئات معينة، بالإضافة الى شؤون الأمة وعلاقاتها بغيرها من الأمم،؛ فكان المحور الموضوعي الرئيسي للسورة كلها متمثلاً في العلاقات الاجتماعية وضرورة إحكامها وتشديدها[1]؛ فقد أكدت المضامين الشرعية التي حفلت بها سورة النساء على أهمية تقويم العلاقات والروابط الاجتماعية على أسس متينة، تتمثل بالتناصح والتكافل والتراحم والتعاون[2].

تدرجت موضوعات سورة النساء متصلة في دقائقها بالفئات الإنسانية التي عنيت بها، مع التركيز بشكل مباشر وكثيف على تلك المضامين المتعلقة بالنساء في مختلف أوضاعهن الأسرية والزوجية، وتنظيم المواريث وتحديد نسب توزيعها على الوارثين في مختلف الحالات، والحدود وغيرها، في الوقت نفسه الذي تعلقت فيه أغلب تلك المضامين الشرعية بمسائل التعاملات المالية والشهادة والأمانات؛ «وبالتالي، فإن هذا النسق الموضوعي لسورة النساء يعد آية في الإيجاز والإعجاز، غير أن الذي يلفت النظر الاهتمام البالغ للسورة الكريمة في حديثها عن الأيتام إذ كان مدخلاً من بعد للتفصيل في آيات المواريث، ثم الوصايا بالإحسان الى الفئات المستضعفة اجتماعياً بحسب التدرج في القرابة والصلات الاجتماعية»[3].

(١) آيات الميراث في القرآن الكريم دراسة بيانية: أحمد الرقب، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، عمان- الأردن، المجلد (٥(، العدد (٣/ ب(، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩. ص ص ١٩- ٤٤. ص ٢٧.

(٢) ملامح التربية الأسرية في القرآن الكريم- سورة النساء نموذجاً، مرجع سابق، ص ٢٨.

(٣) آيات الميراث في القرآن الكريم دراسة بيانية، مرجع سابق، ص ٢٨.

ولأن الحياة الإنسانية قائمة على العلاقات الاجتماعية، التي تعكس نمطاً جوهرياً من النزوع التبادلي والتكافلي من جهة، ولأن المال يعتبر أحد أهم الوسائل والمصالح المتحصلة من خلال ذلك النسق من جهة أخرى؛ «فقد بيَّن الله سبحانه وتعالى دوره في الحياة، فجعله واحداً من أهم وسائل صلة الأرحام، والصدقة به على الوالدَينِ والأقارب وغيرهم، فيكون المال بذلك براً بالوالدين، وصلة لما انقطع من أوصال القربى بين ذوي الأرحام؛ متصلاً ذلك بالحض على الإنفاق على الفقراء والمساكين، مما جعل للمال دوراً اجتماعياً يؤدّيه في الحياة العامة للمجتمع»[1]، يساهم به في تحقيق أمنه ورخاءه واستقراره.

لقد كانت المرأة محرومة في مجتمع الجاهلية وكثير من المجتمعات الأخرى من الميراث، ومن الأمم من أعطاها ولكن بصورة لا تخلو من الظلم والإجحاف؛ فجاء خطاب سورة النساء ليحدث ثورة في هذا الشأن، وقرر أن تعطى المرأة حقها من الميراث، وفق نظام محدد بنسب توزيع وقيم دقيقة منصفة، فضلاً عن تقرير بقية حقوقها من غير حيف أو مطالبة أو مَنٍّ[2]؛ وهذا ما ينسحب على الأيتام وذوي القربى، وأهل الحاجة والمعوزين والضعفاء من الفقراء والمساكين، الذين كانوا ومازالوا محل اهمال وظلم وقهر من قبل المستبدين بهم والمستضعفين لهم من الفئات النافذة في المجتمع، وعرضة على الدوام للاستبداد وأكل حقوقهم- الخاصة والعامة-؛ فمال اليتيم يؤكل، والفقير يحرم، وابن السبيل لا يلقى من يعينه، والمسكين لا يجد من ينصره، ولأن الجشع والهلع على الدنيا يظهر من خلال السلوك المالي للأفراد، جاءت سورة النساء لتحدث انقلاباً على ذلك كله، فأقرت على مستوى الحكم الشرعي بأن كل مال يتحصل عليه الإنسان بطرق

(١) الميسر في أحكام الميراث والوصية في الشريعة الإسلامية والقانون الليبي: محمد أيمن أحمد الجمال، الطبعة الثانية، بدون بيانات الطبعة والناشر ومكان النشر، ٢٠٠٥. ص ١٢.

(٢) إنصاف المرأة في أحكام الميراث في الشريعة الإسلامية: نمر محمد الخليل النمر، مجلة المنارة، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ٢٠٠٩. ص ٩- ٤٦. ص ١١.

مشروعة، لابد وأن يوجه جزء منه الى من يحتاج إليه ويعز عليه تحصيله، والحكم الشرعي ليس غاية بحد ذاته، وإنما هو آلية لتحقيق المقاصد الأسمى التي قررها الإسلام.

يستنتج الباحث أن المضامين الشرعية في سورة النساء متجهة بالأساس الى تحديد مقومات اصلاح المجتمع ابتداءً من اصلاح العلاقات والروابط الاجتماعية التي يتكون منها على مستوى علاقة الفرد بالفرد، وعلاقته بالأسرة، ثم علاقته بالمجتمع ككل، وانتهاءً بعلاقته بالأمة على الشمول، وذلك كله قائم على اعتبار أن غاية التشريع في الإسلام هي تحقيق مقاصده الكبرى، وعلى رأسها العدالة الاجتماعية.

- **الفرع الثاني: المضامين الحقوقية:**

الحق في اللغة «نقيض الباطل، وهو الثبوت والوجوب، أي هو الثابت الذي لا يسوغ إنكاره»[1].

ويطلق الحق على المال والملك الموجود الثابت، ومعنى حق الشيء وقع ووجب بلا شك»[2].

أما في الاصطلاح؛ «فيستعمل الحق بمعاني متعددة، فهو أحياناً ما للشخص من التزام على آخر؛ وفي أحيان أخرى يطلق على الحقوق الشخصية في العلاقات الأسرية، وقد يستعمل بمعنى الأمر الثابت المحقق حدوثه»[3].

ويُعرف الحق بأنه «مصلحة تثبت لإنسان أو لشخص طبيعي أو اعتباري، أو لجهة أخرى، والمصلحة هي المنفعة، ولا يعد الحق حقا إلا إذا قرره الشرع والدين أو القانون

(١) التعريفات: علي بن محمد الجرجاني، مرجع سابق، ص٩٣.

(٢) القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن الفيروز آبادي، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د.ت. ٣/ ٢٢٢.

(٣) المفاهيم القانونية لحقوق الإنسان عبر الزمان والمكان: ساسي سالم الحاج، الطبعة الثالثة، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ٢٠٠٤. ص ١١٧.

والنظام والتشريع والعرف»[1].

يؤكد الباحث على أن ذروة الحق تكون عندما ينال كل ذي حق حقه، وألاَّ يُظلم أو يُكبت أو يقهر، أو تُصادر أمواله وتنتهك حريته وتستباح كرامته الآدمية؛ فقد كانت هذه الأحوال الجائرة تمثل سمة من سمات المجتمع الجاهلي، فجاء الإسلام وشكَّل ثورة على ذلك كله، جاعلاً من الأحكام الشرعية أداة فعالة لإحداث التحول المطلوب في المجتمع، وهذا ما تكشف عنه بجلاء المضامين الحقوقية التي عبرت عنها آيات سورة النساء.

أكدت مضامين سورة النساء على حق الحياة، باعتباره الحق الأساسي الأول لكل إنسان، والذي يقوم عليه نواله لسائل الحقوق الأخرى؛ فحياة الإنسان مقدسة، لا يجوز لأحد الاعتداء عليها ولا تسلب هذه القدسية إلا بسلطان الشرع[2]:﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ ﴾[3]،﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾[4].

(١) الإسلام وحقوق الإنسان: القطب محمد القطب طبلية، الطبعة الثانية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٤. ص ٢٣.

(٢) قانون حقوق الإنسان: ذاتيته ومصدره: الشافعي محمد بشير؛ في: حقوق الإنسان: محمود شريف بسيوني وآخرون، الطبعة الثانية، دار الملايين، بيروت، ١٩٩٨. ص ٤٦.

(٣) سورة النساء: الآية (٩٢).

(٤) سورة النساء: الآية (٩٣).

تعد الحقوق المادية من أهم المضامين الحقوقية التي أكدت عليها سورة النساء، وخصوصاً تلك التي تتمثل في الحقوق المادية المباشرة المتعلقة بحق الملكية: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾[1]، ومن ذلك المهر، والنفقة بالنسبة للنساء: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾﴾[2]، ﴿۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾﴾[3]؛ ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾[4]، «كما جاء الإسلام مُثبتاً تقديره للمرأة، ورعايته لحقوقها، بإعطائها حق الميراث، خلافاً لما كان عليه عرب الجاهلية وكثير من الشعوب القديمة وبعض الشعوب في العصر الحاضر»[5].

(١) سورة النساء: الآية (٣٢).

(٢) سورة النساء: الآية (٤).

(٣) سورة النساء: الآية (٢٤).

(٤) سورة النساء: الآية (٢٥).

(٥) حقوق المرأة وواجباتها في ضوء الكتاب والسنة: فاطمة عمر نصيف، الطبعة الأولى، دون بيانات الناشر ومكان النشر، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠. ص ٢٣٠، ٢٣٥- ٢٣٨؛ نقلاً عن: ملامح التربية الأسرية في القرآن الكريم- سورة النساء نموذجاً، مرجع سابق، ص ٣٤.

يدخل في هذا النسق حفظ أموال اليتامى: ﴿ وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ ﴾[1]، ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ ﴾[2]، وعدم أكل أموال الناس بالباطل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْۚ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾[3]، والإنفاق والتصدق بالمال على ذوي القربى والجيران والمساكين وعابري السبيل: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ ﴾[4]، ﴿ ۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾[5].

يخلص الباحث الى أن المضامين الشرعية في سورة النساء- شأنها في ذلك شأن مثيلاتها في كل سور القرآن الكريم- تمثل أساساً لتمكين الأفراد جميعاً من حقوقهم الطبيعية والإنسانية التي كفلها الله عز وجل لهم على حد سواء، كأساس للالتزام بواجباتهم تجاه ذواتهم وتجاه الآخرين، وتمثل أساساً لمحاربة كل أشكال وصور التوحش والقسوة والأنانية والجشع والظلم والحرمان، الأمر الذي يتكشف من خلال سورة النساء التي ارتبطت فيها المضامين الشرعية والمضامين الحقوقية بشكل جذري، وعبرت من خلال

(١) سورة النساء: الآية (٢).
(٢) سورة النساء: الآية (٩).
(٣) سورة النساء: الآية (٢٩).
(٤) سورة النساء: الآية (٨).
(٥) سورة النساء: الآية (٣٦).

ارتباطها الوثيق عن مقاصد الإسلام وغاياته.

ويرى الباحث أيضاً، أن المضامين الحقوقية في سورة النساء تجسد كافة المبادئ الحقوقية التي نصت عليها المواثيق والاعلانات الدولية، وأهمها على الإطلاق مبدأيّ المساواة، والعدالة، اللذان لا تستقيم حياة أي مجتمع ولا يتقدم مساره وتطوره إلا بهما.

الخاتمة

حاول الباحث أن يقدم دراسة محدودة لبحث موضوع بالغ العمق والشمول، وهو موضوع المضامين الشرعية والحقوقية وفئاتها الإنسانية في سورة النساء، لعل هذا مما يلفت انتباه الباحثين الى أهمية التوسع أكثر في دراسة هذا الموضوع، نظراً لتعدد أبعاده والزوايا التي يمكن النظر منها إليه.

ولقد تبين من خلال هذا البحث، مدى ما تحفل به سورة النساء من مضمون انساني عميق وشامل، يؤسس للكثير من المبادئ والقيم الأخلاقية والاجتماعية التي ينبغي ترسيخها في الوعي الإنساني، وتمثيلها أخلاقياً وسلوكياً في حياة الأفراد، في اطار المفهوم الجامع والشامل الذي يعبر عنه مصطلح «الإحسان» القرآني، والذي يمكن أن يكون مدخلاً موضوعياً لدراسة هذه السورة.

المراجع والمصادر

١.الإسلام وحقوق الإنسان: القطب محمد القطب طبلية، الطبعة الثانية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٤.

٢.الآثار الاجتماعية والنفسية لإغاثة الأيتام في القرآن الكريم: محمد بني دومي، مجلة المنارة، المجلد (٢١)، العدد (٤/ ب)، ٢٠١٥. ص ص ٩٧- ١٢٢.

٣.إنصاف المرأة في أحكام الميراث في الشريعة الإسلامية: نمر محمد الخليل النمر، مجلة المنارة، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ٢٠٠٩. ص ص ٩- ٤٦.

٤.آيات الميراث في القرآن الكريم دراسة بيانية: أحمد الرقب، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، عمان- الأردن، المجلد (٥)، العدد (٣/ ب)، ١٤٣٠ه- ٢٠٠٩. ص ص ١٩- ٤٤.

٥.البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، بيروت، ١٣٧٦هـ- ١٩٥٧.

٦.تاج العروس من جواهر القاموس، أبو الفيض محمد بن محمد الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية للنشر والتوزيع، القاهرة، بدون سنة النشر.

٧.التحرير والتنوير- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد: محمد الطاهر بن محمد بن عاشور (ت: ١٣٩٣ه)، الدار التونسية، تونس، ١٩٨٤.

٨.التعريفات: علي بن محمد الجرجاني (ت: ٨١٦ ه)، تحقيق: إبراهيم الأنباري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥ه- ١٩٨٥.

٩.تفسير القرآن العظيم لابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الطبعة الأولى،

دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ١٤١٩هـ.

١٠.تفسير سورة النساء: عبد الكريم مطيع الحمداوي، شبكة الألوكة الالكترونية، بدون بيانات النشر.

١١.تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: عبد السلام هارون، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، بدون سنة النشر.

١٢.جمال القراء وكمال الإقراء: علم الدين علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري الشافعي السخاوي (ت: ٦٤٣هـ)، تحقيق: عبد الحق عبد الدايم سيف القاضي، الطبعة الأولى، مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤١٨ه - ١٩٩٧.

١٣.حديث القرآن الكريم عن الإنفاق: عدنان خليفات، مجلة الميزان للدراسات الإسلامية والقانونية، المجلد (١)، العدد (١)، ربيع الأول ١٤٢٥ه- كانون الثاني ٢٠١٤. ص ص ١٦٥- ٢١٥.

١٤.الحقوق الاجتماعية في الإسلام: مركز الرسالة، سلسلة المعارف الإسلامية، العدد (٤)، بدون بيانات الناشر ومكان وتاريخ النشر.

١٥.حقوق المرأة وواجباتها في ضوء الكتاب والسنة: فاطمة عمر نصيف، الطبعة الأولى، دون بيانات الناشر ومكان النشر، ١٤٣١ه- ٢٠١٠.

١٦.ذوو القربى والأرحام في ضوء القرآن الكريم- دراسة موضوعية: مها محمد عرفة سكيك، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية- غزة، ١٤٣١ه- ٢٠١٠.

١٧.صحيح البخاري: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، تحقيق: محمد زهير الناصر، الطبعة الأولى، دار طواق النجاة، ٢٠٠٢.

١٨.طبيعة تحولات الطبقة الوسطى في المجتمع الجزائري خلال الفترة الزمنية (٢٠٠٠-٢٠١٠)- دراسة ميدانية لمدينة باتنة نموذجاً: قارح سماح، رسالة دكتوراه، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، ٢٠١١.

١٩.في ظلال القرآن: سيد قطب، الطبعة السابعة عشرة، دار الشروق، القاهرة، ١٤١٢ه.

٢٠.القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن الفيروز آبادي، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.

٢١.قانون حقوق الإنسان: ذاتيته ومصدره: الشافعي محمد بشير؛ في: حقوق الإنسان: محمود شريف بسيوني وآخرون، الطبعة الثانية، دار الملايين، بيروت، ١٩٩٨.

٢٢.لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور (ت: ٧٧١ ه)، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، بدون سنة النشر.

٢٣.لماذا ينفرد الإنسان بالثقافة؟: الثقافات البشرية، نشأتها وتنوعها: مايكل كاريذرس، ترجمة: شوقي جلال، سلسلة كتاب عالم المعرفة، العدد (٢٢٩)، المجلس الأعلى الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يناير ١٩٩٨.

٢٤.المفاهيم القانونية لحقوق الإنسان عبر الزمان والمكان: ساسي سالم الحاج، الطبعة الثالثة، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ٢٠٠٤.

٢٥.ملامح التربية الأسرية في القرآن الكريم- سورة النساء نموذجاً: سهيلة قاسمي، رسالة ماجستير، جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي، الجزائر، ١٤٣٦ه- ٢٠١٥.

٢٦.الميسر في أحكام الميراث والوصية في الشريعة الإسلامية والقانون الليبي: محمد أيمن أحمد الجمال، الطبعة الثانية، بدون بيانات الطبعة والناشر ومكان النشر، ٢٠٠٥.